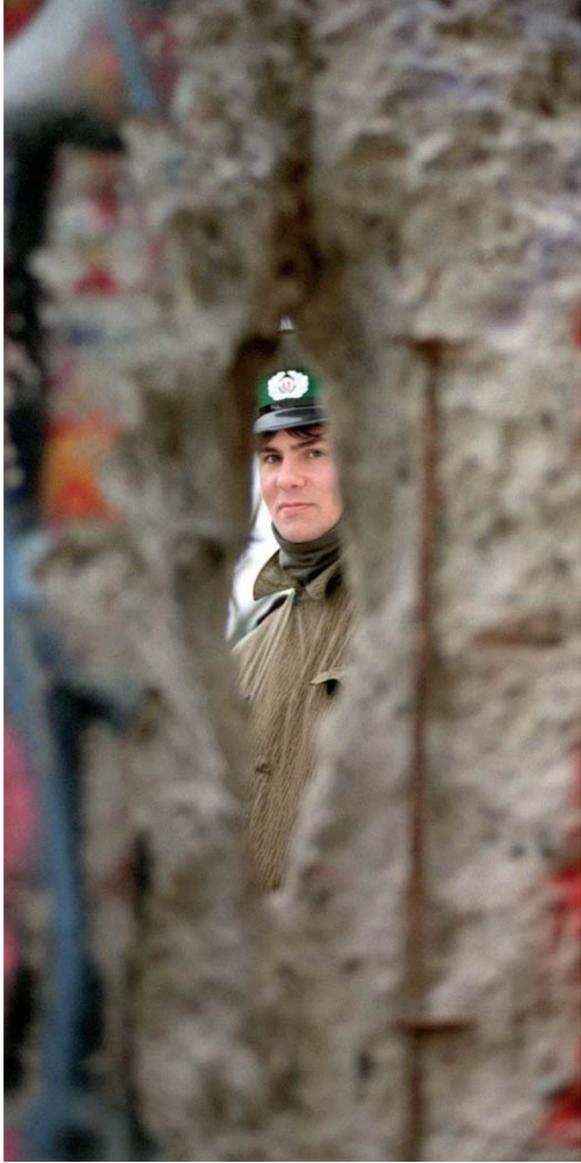


## جدار برلين والمرحلة العربية



يحظى بغطاء عربي ودولي. كانت ردة الفعل الأولى لدمشق التخلّص من الرئيس المنتخب رينيه معوض في الثاني والعشرين من تشرين الثاني - نوفمبر 1989 نظرا إلى أنه كان يمتلك تلك التغطية اللازمة التي ستجبر السوري على بدء التفكير في الانسحاب عسكريا من الأراضي اللبنانية. نجح الرهان السوري على التخلّص من رئيس الجمهورية الجديد رينيه معوض. وفر له صدام حسين فرصة لا تعوّض لتعويم نفسه وذلك عندما اعتقد أن شيئا لم يتغير في هذا العالم وأنّ الاتحاد السوفييتي ما يزال موجودا وأنه يمكن اللعب على المنافسة بين القوتين الكبيرتين ضمن هامش معين. جاءت الفرصة التي التقطها حافظ الأسد من خلال الاحتلال العراقي للكويت. سارع الأسد الأب إلى الانضمام إلى التحالف الدولي، على رأسه أميركا، الذي كان يستعد لحرب استعادة الكويت من العراق. كان الوجود العسكري السوري الرمزي في حفر الباطن كافيا كي ينسئ العالم الوجود العسكري السوري في لبنان، الذي بقي حتى العام 2005. كان دم رفيع الحريري، الذي لعب دورا محوريا في التوصل إلى اتفاق الطائف، كفيلا بإخراج السوري من لبنان.

تعاطى حكام المنطقة الشرق الأوسطية من العرب، كل على طريقته في مرحلة ما بعد سقوط جدار برلين. هناك من فهم التغييرات العالمية مثل الملك حسين وهناك من لم يفهمها مثل صدام حسين وهناك من حاول أن يفهم مثل ياسر عرفات وهناك من استلحق نفسه مثل حافظ الأسد.

هناك أخيرا الراحل علي عبدالله صالح، الذي التقط كل الإشارات التي كان مطلوبها النقاطها، فذهب إلى تحقيق الوحدة اليمنية في الثاني والعشرين من أيار - مايو 1990. صحيح أن موقف الزعيم اليمني الجنوبي علي سالم البيض ساعده في تحقيق الوحدة، لكن الصحيح أيضا أن هذه الوحدة، التي باتت الآن من الماضي، ما كانت لتتحقق لولا سقوط جدار برلين...

السنوات العربية التي ترافقت مع انتهاء الحرب الباردة. قلة بين الزعماء العرب التقطت رياح التغيير. كان الملك حسين بين هذه القلة التي لا يتجاوز عدد أفرادها أصابع اليد الواحدة. استوعب باكرا أخطار العاصفة التي بدت المنطقة مقبلة عليها فباشر إصلاحات سياسية كبيرة في الأردن بدءا بإعلان فك الارتباط مع الضفة الغربية في 1988. وما لبث أن اتبع ذلك بإجراء انتخابات عامة في الأردن وذلك بعد سنوات طويلة من غياب الحياة البرلمانية. جاء موعد الانتخابات التي أشرفت عليها حكومة برئاسة الأمير زيد بن شاکر في الثامن من تشرين الثاني - نوفمبر 1989، أي في اليوم الذي سبق سقوط جدار برلين. هل الأمر صدفة أم أنه دليل على الرؤية الثاقبة للحسين بن طلال؟

امتلك العاهل الأردني الراحل ما يكفي من الخبرة في شؤون المنطقة والعالم كي يذهب سريعا إلى استيعاب ما سيرتب على نهاية الحرب الباردة وانعكاسات ذلك على دول المنطقة وكلياتها. انعكس الاستيعاب الأردني الباكر للمستجدات الإقليمية والدولية على الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات. فهم "أبوعمار"، بعد تحرّره من القيود السوفيتية التي حولت قضية فلسطين ورقة في يد موسكو، أنه لم يعد أمامه سوى السعي إلى الذهاب إلى واشنطن معتمدا سياسة واقعية. تمثلت هذه السياسة بإدانة الإرهاب علنا في مؤتمر صحافي انعقد في جنيف ثم بدء حوار على مستوى معقول مع الإدارة الأميركية. كانت تونس، حيث مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، المكان الذي استضاف ذلك الحوار، الذي علنته لاحقا مواقف الزعيم الفلسطيني الخرقاء من الاحتلال العراقي للكويت في الثاني من آب - أغسطس 1990.

جاء سقوط جدار برلين في وقت كان لبنان يمرّ في مرحلة جديدة بعد إقرار اتفاق الطائف، برعاية سعودية، في الثلاثين من أيلول - سبتمبر من العام 1989. شعر النظام السوري بخطورة هذا الاتفاق عليه، خصوصا أنه كان

الأميركية الكاملة على القرار الدولي، إلى صعود الصين وتحولها إلى قوة اقتصادية تتحدى الولايات المتحدة من دون أن تتحداهما... إلى عودة روسيا، بفضل فلاديمير بوتين، إلى لعب دور خارج حدودها ولكن من دون أحلام كبيرة في حجم تلك التي راحت أيام الاتحاد السوفييتي.

بعد ثلاثين عاما على سقوط جدار برلين ودخول العالم مرحلة القطب الواحد ثم مرحلة الفوضى المنظّمة التي يراها حاليا دونالد ترامب في ظل تقلص كبير للدور الأوروبي على كل صعيد، لا بد من العودة إلى مرحلة الحرب الباردة

تظل روسيا دولة متخلفة اقتصاديا، لكنها دولة خطيرة بسبب امتلاكها الصواريخ البعيدة المدى والسلاح النووي. هذا ما حذر منه غورباتشوف في الذكرى الثلاثين لسقوط جدار برلين. دعا غورباتشوف في حديث مع "بي. بي. سي" إلى التخلّص من السلاح النووي الموجود لدى أميركا وروسيا وأخرين، والذي ما زال يشكل خطرا على العالم كله، ما يعطي فكرة عن حدود دور روسيا خارج حدودها كونها لا تواجه حاليا مشاكل كبيرة في سوريا بسبب الغطاء الأميركي لوجودها العسكري في هذا البلد المفتت.

بعد ثلاثين عاما على سقوط جدار برلين ودخول العالم مرحلة القطب الواحد ثم مرحلة الفوضى المنظّمة التي يراها حاليا دونالد ترامب في ظل تقلص كبير للدور الأوروبي على كل صعيد، لا بد من العودة إلى مرحلة

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

في التاسع من تشرين الثاني - نوفمبر 1989، أي قبل ثلاثين عاما، سقط جدار برلين. مع سقوط الجدار سقطت أشياء كثيرة من بينها الاتحاد السوفييتي، الذي لفظ أنفاسه الأخيرة في بدايات العام 1992. قبل ذلك، توحدت ألمانيا وتحزرت كل دول أوروبا الشرقية من نير الشيوعية التي لم تكن سوى شعارات فارغة لا هدف لها سوى فرض هيمنة الاتحاد السوفييتي بالحديد والنار وعبر شخصيات كاريكاتورية على جزء من أوروبا.

لم يقتصر الأمر على تحزرت ألمانيا الشرقية وعودتها إلى ألمانيا، بل تحزرت تشيكوسلوفاكيا، التي صارت دولتين هما تشيكيا وسلوفاكيا. تحزرت بولندا وهنغاريا ورومانيا وبلغاريا. أصبح حكام مثل الديكتاتور الروماني نيقولا تشاوتشيسكو في مزلة التاريخ.

سقط مع جدار برلين نظام عالمي وضعت أسسه نهاية الحرب العالمية الثانية واتفاقات بين كبار المنتصرين فيها. في الواقع، لم يكن هناك سوى منتصرين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، اللذين قررا اقتسام العالم وتحويله إلى مناطق نفوذ لكل منهما.

مع سقوط جدار برلين، انتهت عمليا الحرب الباردة التي دامت أقل من خمسة وأربعين عاما. الأهم من ذلك كله، أن الاقتصاد الحر انتصر على الاقتصاد الموجه الذي تبين أنه لا يستطيع أن يبني دولا بمقدار ما يستطيع أن يبني مؤسسات أمنية تدير دولا. حاول ميخائيل غورباتشوف آخر رئيس للاتحاد السوفييتي إنقاذ ما يمكن إنقاذه عبر "بيرسترويكا" و"غلاسنوست"، لكنه اكتشف في نهاية المطاف أن بلدا مثل الاتحاد السوفييتي لا يستطيع لعب دور القوة العظمى في المدى الطويل في غياب اقتصاد قوي. من العالم في السنوات الثلاثين الماضية بمراحل عدة. من الهيمنة

## تاريخ مصر في مرمى سداجة الإخوان

**العرب**

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدباني  
كرم نعمة  
حذام خريف

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

بالطبع وأكثرهم صراحة في وصف حال المصريين. فالرجل عاش حياته كلها محبطا وعلى فيض الرحمن، رغم شعبيته الغامرة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى. كتب مذكراته اليومية في الفترة من العام 1922 إلى حين وفاته، وكلها شرح لمظاهر الفقر والعبودية والاستقواء الإنكليزي الفظ على النظام الملكي.

كان سعد زغلول قد ابتلع طعم الاستقلال السوري، وخاض مع حزبه (الوفد) انتخابات يناير 1924 بموجب تصريح 28 فبراير، الذي لم يؤيده عند صدوره من أفاعيل الشيطان، ففاز وتسلم رئاسة الحكومة لعشرة أشهر إلا ثلاثة أيام. وتخلّى عن رئاسة الحكومة، لكي يحمي نفسه من إعادة الاعتقال والنفي. وحين قتل قائد الجيش البريطاني في السودان، ظهرت الحقيقة، ووضع النبي تعليماته لزغلول، وهي في مجملها تعليمات محتل يقرر ويريد فرض العبودية على أهل البلاد. توفي زغلول محبطا وحرمة الحكومة الموالية للإنكليز من حق اختيار قبره قبل أن يلفظ أنفاسه. ومن حسن الصنيع، أن الوزارة الوفدية الأولى، برئاسة مصطفى النحاس، أرضت زوجته التي حُرمت في يوم وفاته من دفنه حيثما أراد في حياته، فقررت بناء مقبرة سعد زغلول وضريحه الجديد، ليُشيع مرة أخرى بعد تسع سنين من وفاته!

كان مسرح مصر السياسي، قبل 23 يوليو، أو قبل "حكم العسكر" كما يقولون حكرا على الموالين للإنكليز حتى الإذلال، واتسم باضطراب الطبقة السياسية إلى بث كل مندوب سام، الحب والخنوع والقرام الطاعة.

وكانت شريحة اليهود الذين اخترقتهم الصهيونية، تتحكم بكل مفاصل الحياة الاقتصادية بشركاتها واحتكاراتها التي شملت كافة مناحي النشاط الاقتصادي والإعلامي، وتمكنت للأسف من تغذية المشروع الصهيوني في فلسطين، وكان لها الرجحان التمويلي بمساعدة أميرات وأمرأة من الأسرة الحاكمة، تبرعوا لإنشاء الجامعة العبرية.

النحاس تحديدا، وهو الأقل شراسة وجموحا من أحمد زيوار وإسماعيل صدقي وعبدالحق ثروت وغيرهم من الحكومات غير الدستورية، التي احتلت معظم المسافة الزمنية بين 1922 و1952. وجرى الترويج لهذه الرواية الملتفة، على نطاق واسع، من خلال تصريحات ومسلسلات، لخلق صورة نمطية سلبية لأي زعيم وطني خرج من الجبش، ودون تمييز!

هنا ناتي إلى بيت القصيد. فقد شاعت في السنوات الأخيرة مقولة بتبناها المفتتون بأميركا ومعهم "الإخوان" وتلقفها السجاسعة، على الطريقة التي أظهرها أخونا باكتشاف المقبرة. المقولة تزعم أن مصر كانت قبل "حكم العسكر" أي قبل ثورة يوليو 1952 واحة للديمقراطية وللحياة البرلمانية المستقرة، وللرخاء الذي بلغ حد إقراض أميركا وبريطانيا. وهذه الفقرة الأخيرة عن الرخاء تدحضها الوقائع التي عرضها ساسة ذلك العهد. فقد أريد من هذه المقولة أن يترحم الفقراء والبسطاء على أيام الباشوات والطرايطش والعمانم، من موالى الإنكليز، رغم أن الشيخ حسن البنا، مؤسس الجماعة، قتل في العهد الملكي، وأن عبارة زوار الفجر والاعتقالات التعسفية ظهرت في العهد الملكي وأثناء حكم مصطفى

الطعم وتماشي معه حتى رحيله عام 1927 بأسسا متشكيا ومهانا في معظم السنوات. كان تعيين اللبني مندوبا ساميا على مصر، مكافأة له على احتلال القدس، بعد تحطم ثلاث هجمات على غزة، قادها جنرالات سابقون، فيما يسمى في التاريخ العسكري البريطاني "حروب غزة".

هنا ناتي إلى بيت القصيد. فقد شاعت في السنوات الأخيرة مقولة بتبناها المفتتون بأميركا ومعهم "الإخوان" وتلقفها السجاسعة، على الطريقة التي أظهرها أخونا باكتشاف المقبرة. المقولة تزعم أن مصر كانت قبل "حكم العسكر" أي قبل ثورة يوليو 1952 واحة للديمقراطية وللحياة البرلمانية المستقرة، وللرخاء الذي بلغ حد إقراض أميركا وبريطانيا. وهذه الفقرة الأخيرة عن الرخاء تدحضها الوقائع التي عرضها ساسة ذلك العهد. فقد أريد من هذه المقولة أن يترحم الفقراء والبسطاء على أيام الباشوات والطرايطش والعمانم، من موالى الإنكليز، رغم أن الشيخ حسن البنا، مؤسس الجماعة، قتل في العهد الملكي، وأن عبارة زوار الفجر والاعتقالات التعسفية ظهرت في العهد الملكي وأثناء حكم مصطفى

الموسيقية، منسوبة للفرعون "توت عنخ أمون" ورفع مكانة المصريين في العالم إلى عنان السماء. وكان كفاح الشعب المصري، قبل الاكتشاف بثلاث سنوات، نال إعجاب محبي الحرية في أنحاء العالم، بل إن الثوري الروسي فلاديمير لينين لم يستطع إنكار كفاح المصريين والتأخر عن الثناء عليه. ثم إن ثورة عربي، قبل ثورة 1919 التي أشعلها الجيش المصري بدءا من العام 1879 ضد الضباط الأتراك، ليست ذات قيمة في حساب الذين تدور رحى عروضهم على مقولة "حكم العسكر" دونما تمييز بين عسكر وعسكر، فما بالنا حين تكون ثورة عربي هي التي هزت عرش الخديوي توفيق، خيار الأستانة، التي أطاحت بإسماعيل.

المفارقة، أن مستهل مرحلة العز والشموخ للمصريين، في روايات تلك القنوات هو عام 1922 عندما اكتشف "الصابع" المقبرة. هنا نقول: ليس مجهول في التاريخ من هكذا منطق. ففي تلك السنة وفي نهاية فبراير منها، جاء الجنرال الداهية إدموند اللبني للمصريين بما يشبه وعد بلفور، وسُمي تصريح 28 فبراير 1922، الذي يخادع المصريين ويمنحهم استقلالا سوريا. عارضه سعد زغلول ثم ابتلع

عدي صادق  
كاتب وسياسي  
سلفيني

يتنوع المعارضون المصريون، من مقدمي برامج العروض التمثيلية، عبر القنوات التي تبث من تركيا؛ في أساليب عروضهم وهجائهم لنظام الحكم في بلادهم. منهم من يبرع في تقديم مادته بطريقة تتوخى التأثير العاطفي على المشاهدين، ومنهم من يرمي محاججاته كمن يبرج بالطين، ويجعل كل شخصية في تاريخ مصر المستقلة، ذات جذور يهودية صهيونية. العامل المشترك بينهم، هو جهلهم بالتاريخ المكتوب بالمعايير البحثية العلمية وليس بالثرثرات، لكنهم يتدبرون أمورهم في صياغة اقتراحات عروضهم، بلقطات منفصلة من وقائع يفتنونها تخدم السياق، بينما هي ليست أكثر من محاولات استغلال للعقول.

أحد هؤلاء، افتتح عرضه المُستقى ارتجالا من إحدى الموسوعات على شبكة الإنترنت، بقصة اكتشاف مقبرة "توت عنخ أمون" بالقول جازما إن "ولدا صايعا" عثر بالصدفة على تلك المقبرة، وذكر اسمه. ولأن الأوصاف التي تتهاطل على لسان الرجل بغير حساب، ويحتم أن السذج يصدقون الدرامي؛ فإن مقدم العرض وصف عالم الآثار الإنكليزي والخبير المرموق في "المصريات" هوارد كارتر، بأنه "ولد صايع" عثر بالصدفة البحتة على المقبرة فاصبح مكتشفها. بينما الحقيقة أن أحد اللوردات البريطانيين استعان بكارتر ليحل لغز "توت عنخ أمون" وتعهده اللورد بتمويل مهمته، بعد أن كان قد اكتشف قبل 23 سنة مجموعة من المعابد والمقابر الفرعونية على الضفة الغربية من النيل، المقابلة لمدينة الأقصر.

ويحمل حديث مقدم البرنامج تناقضا عجيبا، لأن اكتشاف "الولد الصايع" أظهر للعالم التحف والقلائد والعلو وقصات الشعر والأنغام

